

القحة ولا صمة الخشم

د. عمر العماس

المثل السوداني... الذي غالباً ما تتم صياغته باللغة السودانية القومية الدارجة... يحمل من المعنى ومن الإشارات، التي تتعلق بالسلوكيات المجتمعية، الكثير من الأغراض والأهداف... التي تخدم المجتمع ككل وأفراده كمكونات أساسية للمجتمع... ورغم قلة محتوى المثل من الكلمات، إلا أنه يضم ما قد يعادل مقالاً كاملاً، أو صفحات عدة، مما يتضمنه من مواد مؤثرة وفاعلة لدى الناس... وهم يمارسون نشاطاتهم الحياتية المتتابعة.

بهذا يصبح المثل، وعلى خفة نطقه.. وسهولة فهمه، أكثر تداولاً بين الأفراد... فهو يمكّن الفرد منا، من توصيل المعلومة بأسرع.. وأسهل.. وأنجع وسيلة تعليمية، تساعد في التعلم السهل الجيد... وهنا يصبح ضرب المثل، أي توزيعه عند اللزوم، مخرجاً تعليمياً مفيداً... فعن طريقه نختصر المسافات، ونتفادى هدر الوقت، ونتجنب كثرة الأخطاء...

فالمثل يقول (الكلام قصرو ولا طولو).

ويقال أيضاً: (خير الكلام ما قل ودل).

والمثل الرائج أيضاً يقول: (كثرة الكلام وطولو بجيبو الكضب).

كما أنّ (عواصة الكلام بتجيب القهر).

ويقال أيضاً: (السواي مو حداث).

وقد قيل: (الكلام بجيب الكلام).

عليه فالمثل السوداني لما يكون مضرب حديث (بقضي غرضو بالكامل.. يعني بوصل الزول للحقيقة الغاية عنو في وكت قصير)... لكن قد نجد في بعض الأوقات أنّ المثل السوداني لا يجدي نفعه، أو قد يكون

مضراً... أو بمعنى آخر (إنتهت صلاحيتو)... وقد يقود إلى التهلكة،
عشان كذا الواحد يتأكد من الموقف الداير يضرب فيو المثل، عشان ما
يجيب ليهو كُبة...

في مثل هذا الموقف... أذكر موقفاً مثلتو (فرقة الأصدقاء) زمان،
ويتلخص في أنّ (محمد نعيم سعد)... كان قد تعرض لموقف عاطفي مع
إحدى الفتيات، التي أنفق عليها... وقدم لها كل ما هو لائق، إلا أنّها
تكرت عليه، وبدلتو بي واحد تاني... فقام بطرح أمره لأحد أصدقائه
وهو (مصطفى الخليفة)... شاكياً متألماً، فنصحه (مصطفى) أن يقابل
الفتاة الخائنة تلك... ويحدثها في الأمر باستفاضة ويضرب لها المثل
الذي يقول:

(الخيال تجقلب والشكر لى حماد)، ويقصد بحماد هنا العاشق البديل...

حفظ (محمد نعيم) المثل تماماً... وذهب لملاقة الفتاة، وعندما وقفت بين
يديه ساده الاضطراب والجهجة... وفات عليه ترتيب الكلام فبدأ يهذي
بحديث غير مترابط... وغير مفهوم، حتى وصل إلى موقف ضرب المثل
الذي نسيه تماماً... فقال لها بعد متممة ظل يفتش خلالها للنص الصحيح
للمثل المطلوب:

(الحسنة في المنعول زي الشرا في القندول).

هنا لم يكن للمثل معنى فالموقف لا يتطلب ذلك أبداً...

من الأمثال السودانية غير المرغوب فيها:

(الموت مع الجماعة عيد) الجابرك على الموت شنو؟

والمثل (مد كر عيك على قدر لحافك) فهو دعوة صريحة للكسل.

والمثل القائل: (الما بدورك ما تدورو) فقد نسي أنّ المسامح كريم.

وكمان زي المثل عنوان مقالتنا دي:

(القحة ولا صمة الخشم) بمعنى الدعوة للكلام أو للفعل.

وللقحة أو الكحة أنواع... لها مسميات عدة نذكر منها:

- قحة الناس الطزيانين... الناس العندهم كروش وقروش...يسموها قحة العظمة، وهي تخرج من الصدور في شكل قننات متعالية... مرتين أو ثلاثة ورا بعض (أح..أح..أح)... والتالته دايماً بتكون كبيرة شوية يعني شوفوني...
- كمان في قحة من غير سبب تطلع قحة واحدة وبس ما معروف ليها هدف.
- وكمان في قحة الحنكوشات الهينة وما ليها صوت واضح وبتكون داخل المنديل مع لفته لأحد الجانبين.
- ويرضو في القحة المستخدمة كأداة تنبيه.
- والقحة بتاعة الاستهزاء والاحتقار.
- (الكتكوت)..(أم قنطو)..وهي تصيب الصغار..
- (القحة اللينة)..(القحة الناشفة) ودي اكتسبتها ونحن أطفال من الممرض في الشفخانة، فكان يسألنا (قحتك لينة ولا ناشفة)... ومهما كانت الإجابة فالعلاج هو جرعة من محتوى كاس مصنوع من معدن الطلس... من محلول يسمى (المنفس)، داخل (برطمانية) كبيرة، وضعت إلى جانب (برطمانيات) أخر متشابهة، تحتوي كلها على أدوية محلولة مثل:

(البلدونا) و (الكينيا) و (المزيج) وغيرها... لكن كنا نشفى من أول جرعة، أو قد تعقبها أخريات على مدى ثلاثة أيام متتالية...وكثيراً ما كان الممرض يطلب منا أن نقح أمامه، وهو ينظر داخل حلقنا، حتى يتأكد من نوع القحة، بلا خوف من العدوى، أو انتقال الجراثيم عن طريق الرزاز من أفواه الصغار... باعتبارها نظيفة وطاهرة، على ما أظن.

في ذلك الزمان كانت الكحة تمارس كمطلب علاجي وعليه فالمثل (القحة ولا صمة الخشم)، كان مثلاً له مدلولاته وله واقعية اجتماعية ما ساهلة... أما الآن وفي عصر (الكورونا) دا... ومهما كنت راجل أو مرا ضكرانة... أفتح خشمك وقح... شوف بعد دا النفور والجري من جنبك بكون كيف...ووضع الناس للعمم والطرح على وجوههم... ولو سلمت

من دا كلو، يجوك ناس الحجر الصحي... ويغيبوك من أهلك أسبوعين
على الأقل... وعليه يمكن لنا أن نقلب هذا المثل، وفي هذا الوقت بالذات
ليقرأ كالاتي:

(صمة الخشم ولا القحة).

www.omerelammas.com